تاريخ النقـــــود

نحن فى تفكير دائم فيما سنشتريه من البقال والجزار والخباز وبائع الخضار . وفيما يلزمنا من ملابس وأدوات ضرورية . ولو نفدت كمية اللحم أو البطاطا مثلا لتوجب علينا أن نعيش بدونهما إلى أن تصل إلى بلادنا كميات أخرى جديدة .

وحاجتنا إلى مختلف الحرف والصناعات دائمية ، ولا يمكننا الاستغناء عنها بحال . وهذه الحاجة إلى الآخرين لم يكن يشعر بها أجدادنا الأقدمون ، فكان عليهم وقتئذ أن يزرعوا طعامهم بأنفسهم ، وأن يغزلوا وينسجوا ويخيطوا ملابسهم بأنفسهم . وكان عليهم أن يزودوا أنفسهم بكل ما هم فى حاجة إليه ، ويجب عليهم الاستغناء عن كل ما لا يستطيعون عمله . وكان القليلون منهم يحبون ، فى بعض الأحيان ، استبدال أشياء متوفرة لديهم باشياء أخرى هم فى حاجة إليها أو يرغبون فى الحصول عليها . ولا تزال نرى أمثال هذه المبادلات تحدث فى أنحاء كثيرة من العالم . فأقزام غابة (الكنغو) اليوم رجال صيد وقنص واللحوم متوفرة لديهم بكثرة ، يقدمون بعضاً منها إلى أقرب مزرعة لأطراف غابتهم ويعودون بما يحتاجون إليه من حبوب .

فالمبادلة أبسط أشكال التجارة وتبادل السلع أمر شائع مارسه الناس منذ القدم . وهى الطريقة التى كان الفينيقيون فى الأزمان القديمة يشترون بها التبك من (البريتون) القدماء حيث يدفعون ثمناً لها الأقمشة الملونة وأشياء أخرى مما يرغب به عملاؤهم .

وتبادل السلع أمر سهل إذا كانت حاجيات الناس بسيطة ومحدودة .

غير أن الإنسان عندما اهتدى إلى فلاحة الأرض لتزويده بالطعام ، وعرف صناعة الخزف والمجوهرات واللابس والأسلحة وغيرها فقد أصبح من العسير الشاق عليه أن يفكر ، فى كل مرة يريد فيها مبادلة السلع ، بالقيمة الحقيقية للشىء الذى يريد شراءه . وباستطاعتك أن تتصور هذه الصعوبة إذا ما فكرت فى كيفية استبدال جميع الأشياء التى يقع عليها نظرك فى الحوانيت والأسواق .

فكم تعطى مثلا من البيض بديلا لحذاء أنت فى حاجة إليه . أو كم رأساً من البصل بديلا لبيضة واحدة ، زد على ذلك أن صاحب البيض قد لا يرغب فى بصلك .

ولسهولة الاتجار أصبح من الضرورى الاتفاق على شىء واحد يريده كل الناس ويرغبون فى الحصول عليه بديلا لبضاعتهم . ويمكننا أن نسمى هذا الشىء نقداً وان لم يكن قطعاً من النقود كالتى نستعملها اليوم .

فى الأيام السالفة كان الناس فى البلاد الزراعية ،

هو الناقد القدير الأستاذ أنور المعداوى . وما الدراسة الفنية الرائعة التى قام بها الأستاذ عن شاعر الأداء النفسى على محمود طه المهندس ، بغائبة عن الأذهان . نريد من الأستاذ أنور أن يفهم الشباب : من هو زكى مبارك ، ان أكثر الشباب اليوم الذين لا يعرفون مجد الراحل ، يعتقدون أنه من الصحفيين المغمورين ، واذا سمع أحدهم اسمه ازور ونأى بجانبه .

نريد من الأستاذ أنور أن يفهم هؤلاء أن «زكى مبارك» هتفت له القاهرة فى يوم ما كما هتفت له باريس وبغداد ودمشق وبيروت والقدس ، وترجمت روائعه إلى اللغات الأجنبية ، ونقش اسمه فى قلوب الملايين من القراء . نريد من الأستاذ أن يعيد إلى الأذهان مجد زكى مبارك التليد ، ويدفع الشباب دفعاً لقراءة كتبه المنسية فى زوايا المكتبات وتذوق أدبه الرفيع وفنه الخالد .

بقيت ناحية دقيقة فى الموضوع . ألا وهى مسألة الثناء على نفسه وهى النقطة الوحيدة التى لزمها عليه النقاد ، ومسكوها حجة بأيديهم . وهذه الناحية ذكرها الأستاذ الزيات فقال « ... ولكن هذه الأعراض النفسية ستفنى فيه وفى الناس ، ويبقى ذلك المجهود العلمى الضخم الذى قدمه إلى الأدب العربى فى شتى نواحيه ، شاهداً على صدق خدمته للأدب ورفيع مكانته فى النهضة » .

هذه كلمة موجزة ، أوحاها الىّ النبأ المؤسف الذى أنذرنا بموت أديب كبير له علينا أكبر الفضل . لقد خدم زكى مبارك مصر واللغة العربية بقلبه وعقله وروحه خدمة صادقة حتى وافاه الأجل المحتوم .

رحمك الله يا أبا سليمان وألهم محبيك — وما أكثرهم — الصبر والسلوان .

(الكويت) فاضل خلف

وفى ما بين النهرين على الأخص ، يستعملون محاصيلهم الزراعية كنقد . فكانوا يحسبون كل شيء يريدون شراءه بمقدار معين من وزن الشعير أو القمح . ولكن هذه المحاصيل غير مرضية تماماً كنقد . وذلك لأن نماذج القمح مثلا غير متساوية القيم . فقد يكون محصول خيراً من محصول وأجود صنفاً ، أضف إلى ذلك أن نقل المحاصيل من مكان إلى آخر ليس بالأمر السهل وخصوصاً إذا أراد الإنسان شراء أشياء ذات قيمة عظيمة تتطلب كميات كبيرة من المحصول ، وهذا ما دعا سكان ما بين النهرين للبحث عن شيء يخف وزنه وتعظم قيمته .

ولما كانت القطعة الصغيرة من الذهب أو الفضة تساوى شيئاً كثيراً استعملها التجار مع جيرانهم . وكان المعدن يعمل سبائك أو قضبانا ويحمل إما براً على الجمال أو بحراً فى السفن . ومع ذلك بقيت هنا صعوبة واحدة .

فالسبائك لم تكن متشابهة ، فكانت توزن فى كل مرة يحصل فيها البيع والشراء لمعرفة قيمتها ، وهذا مما يسبب التأخير الكبير .

وحوالى سنة ٨٠٠ ق م اهتدى شعب (ليديا) فى آسيا الصغرى إلى مخرج من هذه الصعوبة . فقد أمر الملك بصنع عدد عظيم من السبائك من نفس النوع والوزن ، وختمت هذه السبائك بعلامات خاصة لمعرفة قيمتها الحقيقية ، وبهذا أصبح التعامل بها سهلا دون الحاجة إلى وزنها فى كل مرة . ومنذ ذلك الوقت انتشر استعمال النقود عند جميع الشعوب المتمدينة .

إن الأمم التى صنعت السبائك وختمتها سرعان ما اكتشفت أن القطع المعدنية المنبسطة المستديرة أسهل من القضبان عداً وحملا .

ولما كانت هناك أشياء كثيرة يراد بيعها وشراؤها مع أنها لا تساوى قيمة قطعة من الذهب أو الفضة استعملت الأمم النحاس وغيره من المعادن لصنع القطع ذات القيم البسيطة .

ووجه القطعة النقدية يختم عادة برأس الحاكم والوجه الآخر بصورة فنية . وليس القصد من هذه النقوش مجرد الزخرفة بل لجعلها أصعب تقليداً على مزيفى النقود الغشاشين الذين يقلدون النقود المتداولة بنقود من معدن أرخص .

واستعمال النقد أراح العالم كثيراً ، وهو كما نلاحظ من السهولة بحيث يحب كل إنسان أن يأخذه ويعطيه بدلا من البضائع لسهولة حمله والتعرف عليه ، وخصوصاً لضمانة الحكومة له .

ولدفع الكميات الكبيرة نجد حتى النقود المعدنية أمراً غير مناسب . فهى لكثرتها ثقيلة جداً ، ولذلك صنعت الحكومات النقد الورقى المكفول .

وليس بالأمر الذى يهمنا كثيراً أن نعرف فيما إذا كانت قطعة الروبية مثلا تحتوى من المعدن ما يساوى هذا المبلغ أو أقل أو أكثر ، لأن قطعة النقد هذه بحد ذاتها ليست ذات قيمة لنا . فهى فى جزيرة غير مأهولة لا نفع منها . وتعتبر هدية تافهة سخيفة إذا قدمت إلى أقزام غابة الكنغو مثلا ، مع أنها هنا تساوى قطعتين كبيرتين من «الشيكولاتة» أو ثمانية أقراص من الخبز أو رحلة قصيرة فى سيارة .

ولا يفكر البائع مطلقاً فى وزنها ليرى فيما إذا كانت تحوى معدنا بقيمتها ، ويكفى أن تقدمها للآخرين مقابل ما أخذته من بضاعتهم دون أن تُسأل .

فالنقد مجرد علامة وشيء يمكن استبداله بأشياء نحن فى حاجة إليها ، وورقة العشر روبيات تساوى عشر روبيات مع أنها مصنوعة من ورقة لا قيمة لها تقريباً .

ولكل قطر نقده الخاص به . فقد يجد المصرى صعوبة فى حساب الروبيات والآنات الهندية كما يصعب على الهندى ان يحسب الجنيهات والشلنات والبنسات الانجليزية ، غير أن رجال الأعمال الذين يتصلون مع الأقطار الأخرى يعرفون حسابات تلك الأقطار .

وعند ما نريد السفر إلى الخارج نحتاج إلى استبدال نقودنا بنقود القطر الذى نريد زيارته . ويقوم بهذا العمل لنا المصارف ووكالات السياحة والصرافون .

ومن المهم أن نلاحظ أن جميع الأعمال التجارية بين مختلف الأقطار انما هى تبادل للسلع .

فجميع الشعوب فى العالم يعتمد كل منها على الآخر فى المواد الخام والطعام والمصنوعات .

ولدى كل شعب أشياء تزيد عن حاجته ويريد اعطاءها إلى شعوب أخرى تحتاج إليها وهو يحتاج إلى أشياء كثيرة تستطيع تلك الشعوب تزويده بها . والحياة العصرية غير ممكنة بغير هذا التبادل . وكل ما من شأنه عرقلة هذا التبادل يجعل الحياة صعبة شاقة لجميع هذه الشعوب .

الكويت — سليمان أبو غوسه